



القراءات العشر وأثرها على المعنى في الجزء الأول من القرآن الكريم

The effects of decuple recitations in semantic implications: First Part of the Holy Quran

فاطمة ضيايى

جامعة شيراز (ايران)

f.zeyaei@yahoo.com

الدكتور اسحق رحمانى*

جامعة شيراز (ايران)

esrahmani@yahoo.com

ملخص:	معلومات المقال
<p>إنّ القرآن الكريم تحت عنوان الكتاب المنزل الوحيد للمسلمين قد جلب انتباه المسلمين منذ القديم. ومن الطبيعي أنهم لم يقصروا على جهد لفهم وإدراك هذا الكتاب المرشد للحياض أكثر فأكثر. إنّ العلماء حاولوا أن يعبروا عن دلالات الآيات القرآنية في كافة المجالات من الصرف والنحو والبلاغة وعلم الأصوات وما إلى ذلك. وإنّ أحد هذه المجالات المنتبهة هي كيفية قراءة ألفاظ القرآن. لأنّ القرآن الكريم الذي كان قد يُتلى على لسان النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم للمسلمين المعاصروه فإنّه لم يقرأ بلغة واحدة فحسب بل أحيانا كان يقرأ لفظاً بشكّلين أو أكثر. هذه القراءات المختلفة قد احتفظ به على الألسن وانتقل من جيل إلى آخر فقد بقي تحت عنوان القراءات الصحيحة إلى أن وصل إلى العلماء الأخرى التي قد عرفت عشرة أشخاص منهم حال كون كلّ واحد منهم خيراً في أيّ واحد من القراءات. والناس قد اقتدوا بهم لتعليم القراءات الصحيحة فهم عرفوا تحت عنوان الأئمة العشرة.</p>	<p>تاريخ الارسال: 2021/06/27</p> <p>تاريخ القبول: 2021/10/02</p> <p>الكلمات المفتاحية:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ القرآن الكريم ✓ القراءات العشر ✓ أئمة القراءات ✓ دلالة الآية
Abstract :	Article info
<p><i>The holy Quran, as the only Holy book for muslims, has caught the attention of many Muslim scholars; and consequently, it is natural that scholars have endeavored to understand, precisely and thoroughly, the guidelines of this book Grammatically, semantically, phonologically and rhetorically.</i></p> <p><i>One area, which has received increased attention, is variation in reciting the verses of Quran; this variation is due to fact that at the time of prophet Muhammed (peace and Blessing be upon him), the verses of the Holy Quran were recited with two or more pronunciations.</i></p> <p><i>These diverse recitations (i.e from the followers of prophet Muhammed (peace be uponhim)) were transmitted from one generation to the next, and all were considered correct recitations. Thus, ten scholars were considered to be elites in this respect, and people referred to those Imam of recitations for correct recitations.</i></p>	<p>Received 27/06/2021</p> <p>Accepted 02/10/2021</p> <p>Keywords:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ the Holy Quran ✓ ten Imam of recitations ✓ verse meaning ✓ Baghareh Sureh

1- بيان المسألة

كان القرآن الكريم على الدوام دليل المسلمين وقبيلتهم ومثابة اجتهادهم، لذلك ما انفكوا يعكفون عليه حفظاً ودرساً وتمثلاً، ولا ينون يصرفون جهداً كبيراً متصلاً لتبيان معانيه وأحكامه، وناسخه ومنسوخه، ووجوه قراءته، ودقائق بلاغته، وآيات إعجازه، وسوى ذلك من النواحي التي يشتمل عليها موضوع علوم القرآن ومباحثه القديمة المتجددة. لأنها أرفع العلوم قدراً وأشرفها ذكراً والاشتغال بها من أجل الأعمال وأفضل القربات. وفي الواقع القرآن الكريم فجر في العرب حب المعرفة والاطلاع ومعاناة البحث العلمي بعد قرون طويلة من الأمية والجهالة. وبما " أن القرآن الكريم قد نزل باللغة الأدبية المشتركة كان يجوج أكثر العرب إلى السؤال عن معاني بعض الكلمات"¹ "وإنّ نزول القرآن منجماً هو بمثابة نشوء للقراءات، فقد أقرأ جبريل النبي صلى الله عليه وآله وسلم القرآن الكريم من أوله إلى آخره آية آية"² وكان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يفسر لأصحابه الكلمة والآية والآيتين مما يحتاجون إليه.

ونظراً لما روي عن إقرأ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- أصحابه الكتاب العزيز على غير وجه في الكثير من الكلمات والآيات وجد الصحابة أنّ بيان وجه كثير من القراءات وتعليلها جزء لا يتجزأ من علم التفسير ومن ثمّ ورد عن عدد من الصحابة توجيههم لقراءات عديدة وبيان ما يترتب عليها من معنى أو بيان وجهها في العربية. ولهذا يبين أنّ "من المباحث الأساسية في هذا المجال إعراب القرآن ألفاظاً وجمالاً للارتباط الوثيق القائم بين المعنى والمبنى في اللغة العربية أو بالأحرى بين اللفظ وإعرابه بحيث يتلون المعنى بتلون الإعراب. ولعلّ ما يميز اللغة العربية عن معظم اللغات الأخرى هو هذا الارتباط الوثيق بين المعنى والإعراب."³

"وتركيزاً على لغة القرآن الكريم وما فيها من إعجاز مقصود في الاختيار والتوظيف، فالمعروف أن القرآن الكريم له طريقتة في التعبير والتأثير، إذ لاتستعمل البنية من شكل إلى آخر أو تُكرّر نفسها في موضع من دون آخر إلاّ لدلالات أريد بها مطلبٌ ما. وهذا ماتنبه إليه كثير من الدارسين قديماً وحديثاً، وحاولوا رصده بالتحليل والمقارنة والاستنباط"⁴.

ومما قيل إلى هنا يفهم أنّ تفسير القرآن وفهم معانيه بشكل صحيح وإعراب القرآن وقراءته علوم متصلة لا يمكن انفكاك بعضها عن بعض. الحقيقة أنّ إعراب القرآن ضروري للتفسير ولا ينفصل عن علم القراءات وعليه ثمة علوم ثلاثة مترابطة هي: علم التفسير (التأويل) وعلم الإعراب وعلم القراءات. من هنا نلاحظ أنّ معظم كتب التفسير لاتخلو من إشارات إلى وجوه القراءات المختلفة وبالتالي إلى وجوه الإعراب.

لإيضاح القصد من الوجوه المختلفة للقراءات يجب شرح هذه القضية أنّ اختلاف القراءات على أنواع:

¹ - المهدي، أحمد بن عمار (1415)، شرح الهداية، مكتبة الرشد، ص2.

² - المحميد، ياسين جاسم (1426هـ)، تلحين النحويين للقراء، رياض: مؤسسة الريان، ص5.

³ - المرادي النحوي، أحمد بن محمد (1421 هـ)، إعراب القرآن، بيروت: دار الكتب العلمية، ص7.

⁴ - شندوخ حميد، هادي (2010)، "صيغة (انفعل) في التعبير القرآني دراسة في المبنى والمعنى"، مجلة آداب ذى قار، العدد1، ص72.

• منها ما ينشأ عن الاختلاف في إعراب الكلمة والعلامة التي تتعلق بدورها في الجملة مثل: إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ.

ومنها ما ينشأ من الشكل الظاهري للكلمة وهو على أنواع:

• فمن الاختلاف في الشكل الظاهري ما يرتبط بصيغة الكلمة من حيث الغائب والمخاطب أو غير ذلك مثل: ولا تظلمون فتياً / لا يظلمون فتياً¹.

• ومنه ما يتعلق باختلاف الرأي في نوع الكلمة من حيث كونه فاعلاً أو مفعولاً أو ما إلى ذلك مثل: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ / إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ.

• ومن الاختلاف ما ينتمي إلى باب الفعل من حيث كونه مزيداً أو مجرداً مثل: أو لامستم النساء / لمستم.

• منه ما يتعلق بنوع الفعل هل هو فعل ماضٍ أو أمرٍ مثل: وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ / وَاتَّخِذُوا².

وللارتباط الوثيق القائم بين إعراب الكلمة أو نوع الكلمة وبين المعنى المفهوم منه، حاول هذه الدراسة البحث في الآيات التي لها وجوه مختلفة للقراءة حسب منهج القراءات العشر في الجزء الأول. ويجدر بالذكر أن سبب اختيار قراءات العشر لبحثنا هذا هو وجود صفة كثرة التواتر والصحة فيها. فالقرآن الذي تجوز به الصلاة بالاتفاق هو الذي أجمع عليه الأئمة العشرة، وهذا هو المتواتر جملة وتفصيلاً فما فوق السبعة إلى العشرة غير شاذ، وإنما الشاذ ما وراء العشرة.

فالدراسة تسعى معالجة آيات الجزء الأول من القرآن الكريم ودراسة الألفاظ التي لها قراءات مختلفة على أساس ما روي عن أئمة القراءات العشر كما أنها تحاول الكشف عن المعنى التفسيري الذي يستنتج عن القراءات المختلفة في علمي النحو والتفسير.

1-2-هدف البحث

تهدف هذه الدراسة البحث في معاني الألفاظ القرآنية عبر البحث في القراءات وتوجيهاتها وآراء العلماء حولها ومناقشتهم فيها.

¹ - حبش، محمد (1419 هـ)، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دمشق: دار الفكر، ص 125

² - محيسن، محمد (1417 هـ)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، بيروت: دار الجيل، ص 314

1-3- الدراسات السابقة

أ/ الدراسات التي درست علم القراءة وأثرها في المعنى التفسيري في سورة معينة اختصاصياً

النعمة (2008)، درست في رسالتها اختلاف القراءة في سورة الفاتحة اختصاصياً. وجمعت البيانات عن الاختلافات الموجودة بين أئمة القراءة ودوّنتها في جدول؛ ثمّ عالجت كلّ كلمة من سورة الفاتحة حسب رأي كلّ من أئمة القراءة كما أنّها ذكرت نوع القراءة من حيث كونها متواتراً أم شاذاً أم... وفي مواصلة رسالتها درست الدلالة التي يدلّ عليها أيّ قراءة لكنها ما ذكرت نتيجة الخلاف واكتفت بذكر آراء النحاة والقراء حول إعراب اللفظ.

المنصوري (2015)، درس عشرين نموذجاً من اختلاف القراءة في سورة طه وذكر الإمام والقراءة التي رويت عنه. كما أنّه عالج الدلالة التي يدلّ عليها اللفظ في كلّ حالة من الإعراب أو القراءة. وفي النهاية ذكر الأثر الذي ينتج عن الجمع بين القراءتين أو القراءات.

الحموي (1429 ق.)، درس في مقالته خمسة نماذج من سورة الحجر والنحل التي رويت عنها قراءتين مختلفتين أو قراءات مختلفة. ثمّ عالج كلّ نموذج من خمسة اتجاهات: فهو أولاً يعالج اللفظ حسب أوجه اختلاف القراءات وذكر فيه آراء القراء في قراءة اللفظ المذكور. ثانياً لاحظ من حيث التوجيه النحوي و آراء النحاة. ثالثاً درسه في نطاق التوجيه اللغوي. رابعاً لاحظ التفسير الذي يعبر عنه اللفظ وأخيراً درس توجيه كلّ قراءة حسب آراء المفسرين.

ب/ الدراسات التي ألّفت في أثر اختلاف القراءات في المعنى التفسيري بشكل عام

عثماني و الرحمن (2011)، فهما في مقالتهما درسا للقراءات وتاريخها وأثرها في التفسير بشكل عام. فهما مثلاً ذكرا نموذجاً من القرآن الكريم في اتجاهي العقائد والاحكام الشرعية. وذكرنا في كلّ اتجاه نموذجاً ووسّعا البحث في الاتجاه الثاني وقسّمنا الاحكام الاعتقادية ب: الالهيات والغيبيات والنبوات و... وفي كل قسم بعد ذكر الآية وقراءة القراء والمعاني المنتجة عنها ذكراً ثمرة الخلاف والنتيجة النهائية من القراءات المختلفة.

هاشم (2012)، هي مقالة قد دُرِس فيها اختلاف القراءات في حركة الحرف في لفظ من الآية القرآنية دون البحث في الاختلاف في نوع الحروف أو صيغة الفعل وما إلى ذلك. فالمقالة خصصت بدراسة حركة الحروف والاختلافات التي رويت من أئمة القراءة والمعاني المنتجة عن اللفظ في كلّ شكل من حركة حرف من حروفها؛ ك: كلمة (السلم) و (السلم).

صالح (د.ت)، درس في مقالته علم القراءات ونشأتها والمراحل التي مرّت بها ثمّ جمع نماذجاً من جميع سور القرآن بشكل متفرق وعالج اختلاف القراءات فيه ولاحظه.

عبدالرحمن (د.ت)، درس القراءات واقسامها ومقاييسها الصحيحة ثمّ عالج ثلاثة آيات رويت لفظها بقراءتين وهي: (حَتَّى يَطْهُرْنَ) و(أَوْ لَأَمْسُتُنَّ النِّسَاءَ) و(فَطَلَّوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ). ذكر أوجه الخلاف في القراءة وما روي عن أئمة القراءة ثمّ

عاج آراء الفقهاء فيه والحكم الشرعي الذي يستنتج منه.

ولكن هذه الدراسة تسعى أن تبين أثر القراءات العشر على المعنى فى الجزء الأول، مبيناً آراء العلماء حولها ومناقشتهم فيها.

1-4- أسلوب البحث

تتخذ البحث المنهج التحليلى - التوصيفى والطريقة التي تهدف الدراسة إنجازها هي البحث في المفردات القرآنية التي لها معنيان أو أكثر بحسب الإعراب الذي يتعلق بها في الجملة أولاً وملاحظة تلون الدلالات بتلون الإعراب ثانياً. فالدلالة التي يدلّ عليه اللفظ ممكن أن يكون مسألة اعتقادية أو حكم من الأحكام الشرعية. وهذا المهم لاينجز إلا بعد جمع البيانات عن عدد المفردات التي لها قراءات مختلفة في الجزء الأول حسب القراءات العشر. ثمّ البحث في آراء المفسرين وعلماء القراءة حول الدلالة التي يدلّ عليها اللفظ حسب الإعراب ويقدم نتيجة الآراء المختلفة التي وجدت في كتب التفسير وعلم القراءة.

1-5- سؤال البحث

- كيف تؤثر القراءات العشر على المعنى في الجزء الأول من القرآن الكريم؟

2-1- تعريف علم القراءات

- القراءات لغة فهي جمع القراءة و هي في اللغة مصدر "قرأ قرأً وقراءةً وقُرآنًا، فهو قارئٌ: تلاه"¹ اما علم القراءات: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله"². و فى تعريف آخر: "هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله."³ "وقولهم: بعزو الناقله: أي أن هذا العلم ثابت بالنقل الثابت المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا مصدر له سوى النقل والتلقين الشفاهي."⁴

2-2- اقسام القراءات

لتعريف القراءات قسما:

¹ - الفيروزآبادي، مجد الدين(1426 هـ)، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة،ص49.

² - ابن الجزري، شمس الدين(1420هـ)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، دار الكتب العلمية، ص9.

³ - القاضي، عبد الفتاح(د.ت)، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، بيروت: دار الكتاب العربي،ص7.

⁴ - عتر الحلبي، نور الدين(1414 هـ)، علوم القرآن الكريم، دمشق: مطبعة الصباح،ص146.

أ- قيل فى كتاب الإتقان فى علوم القرآن فى تعريف القراءات: "اعلم أن الأفاضى جلال الدين البلقينى قال: القراءه تنقسم إلى متواتر وأحاد وشاذ فالتواتر القراءات السبعة المشهوره والأحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر ويلحق بها قراءه الصحابة والشاذ قراءات التابعين كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم."¹

ب- و فى تعريف آخر قسم السيوطى القراءات إلى أنواع حسب أسانيدها:

"الأول: المتواتر وهو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه وغالب القراءات كذلك الثاني: المشهور وهو ما صح سنده ولم يبلغ درجة التواتر ووافق العريئة والرسم واشتهر عن القراء فلم يعده من العلط ولا من الشذوذ ويُقرأ به.

الثالث: الأحاد وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العريئة أو لم يشتهر الإشتهار المذكور ولا يُقرأ به.

الرابع: الشاذ وهو ما لم يصح سنده.

الخامس: الموضوع كقراءات الخزاعي.

السادس: يشبهه من أنواع الحديث المدرج وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير."²

وبعد النظر فى التقسيمات التى ذكرت يمكن أن يطرح هذا السؤال، أى قراءة أصح ويجوز القراءة بها فى الصلاة؟ أجاب هذا السؤال محمد بن جزري فى كتابه النشر فى القراءات العشر: "كل قراءه وافقت العريئة ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها، فهى القراءه الصحيحه التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومضى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن غيرهم هو أكبر منهم."³

2-3- الفرق بين القراءة والقرآن

قال الزركشى فى كتابه البرهان فى علوم القرآن: "واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز والقراءات هى اختلاف ألفاظ الوحي المذكور فى كتبه الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما."⁴

¹ - السيوطى، جلال الدين (1394هـ)، الإتقان فى علوم القرآن. قاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 258.

² - السيوطى، 1394هـ: م1ص264.

³ - ابن الجزري، محمد(د.ت)، النشر فى القراءات العشر، المطبعة التجارية الكبرى، ص9.

⁴ - الزركشى، بدر الدين (1376 هـ)، البرهان فى علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة، ص318.

2-4- الفرق بين القراءة والتلاوة

"إِنَّ التَّلَاوَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِكَلِمَتَيْنِ فَصَاعِدًا وَالْقِرَاءَةَ تَكُونُ لِلْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ يُقَالُ قَرَأَ فُلَانٌ اسْمَهُ وَلَا يُقَالُ تَلَا اسْمَهُ وَذَكَلْ أَنَّ أَسْلَ التَّلَاوَةَ اتَّبَاعُ الشَّيْءِ الشَّيْءُ يُقَالُ تَلَاهُ إِذَا تَبَعَهُ فَتَكُونُ التَّلَاوَةُ فِي الْكَلِمَاتِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا تَكُونُ فِي الْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ إِذْ لَا يَصِحُّ فِيهَا التَّلْوُ."¹

2-5- الفرق بين علمي التجويد والقراءات

"علم التجويد يعنى بتحسين وتجويد الألفاظ القرآنية، من حيث إخراج كل حرف من مخرجه، ورده إلى أصله، وترتيبه، وإعطاؤه حقه ومستحقه من الصفات، وبعض المسائل التجويدية المتعلقة بتحسين اللفظ، إضافة إلى الوقف الصحيح والابتداء الصحيح، وخلاصة القول: أنه العلم الذي يعنى بتصحيح النطق بالكلمات القرآنية بلا تعسف ولا إفراط ولا تكلف. أما علم القراءات فهو «العلم الذي يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوا إلى ناقله»، وهو العلم الذي يعنى بنقل الروايات القرآنية المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم."²

2-6- مصدر القراءات

القراءات القرآنية المتواترة هي جملة ما بقي من الأحرف السبعة التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، ومصدرها الوحيد هو الوحي الرباني الذي نزل به جبريل الأمين عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق النقل الصحيح المتواتر.³

قال الله عز وجل عن النبي صلى الله عليه وسلم في تلقيه القرآن والقراءات: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ النجم: (3 - 5)

2-7- شروط القراءة الصحيحة

الشرط الأول: موافقة العربية ولو بوجه، ومعنى هذا الشرط أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو، ولو كان مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله، فلا يصح مثلا الاعتراض على قراءة حمزة: وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْأَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ، بجر الأرحام بأنه عطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، وهو خلاف مذهب البصريين، لأننا نقول إن الكوفيين يميزون مثل هذا العطف، وهكذا...

¹ - العسكري، أبو هلال (د.ت)، الفرق اللغوية، القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ص63.

² - القضاة، محمد وشكري (1422 هـ)، مقدمات في علم القراءات، عمان: دار عمار، ص189.

³ - المصدر نفسه، ص48.

الشرط الثاني: موافقة خط أحد المصاحف ولو احتمالا، وذلك أن النطق بالكلمة قد يوافق رسم المصحف تحقيقا، إذا كان مطابقا للمكتوب، وقد يوافق احتمالا أو تقديرا باعتبار ما عرفنا أن رسم المصحف له أصول خاصة به تسمح بقراءته على أكثر من وجه.

مثال ذلك: ملك يوم الدين رسمت ملك بدون ألف في جميع المصاحف، فمن قرأ ملك يوم الدين بدون ألف موافق للرسم تحقيقا، ومن قرأ مالك فهو موافق تقديرا، لحذف هذه الألف من الخط اختصارا.

الشرط الثالث: صحة السند، وهو أن يروي القراءة عدل ضابط عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شذوذ ولا علة.

ويشترط في هذه القراءة أن تنال ثقة أئمة القراء الضابطين، بحيث تكون مشهورة لديهم متلقاة بالقبول عندهم. وقد يتساءل من لم يتمعن حقيقة المسألة، كيف يكفي لقبول القراءة صحة السند مع أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر؟.

والجواب عن هذا التساؤل من أوجه كثيرة نكتفي منها بوجه هو أن القراءة ثابتة بنقل أهل المنطقة كلهم، لكن بحكم قانون الانتخاب الطبيعي يوجد أفراد يفوقون أهل عصرهم، حتى يكونوا مرجعا لهم، وكذلك شأن هؤلاء القراء فإن السند وإن اتصل بخبر صحيح ظاهرا، لكنه متواتر في الحقيقة، لذلك قالوا يشترط أن تنال ثقة الأئمة وتكون مشهورة بينهم.¹

2-8- أسباب اختلاف القراءات

- تعدد النزول:
- ويدخل فيه قراءة النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعض تقريره، والكثير من المروي عن الصحابة.
- تعدد اللهجات
- ويدخل فيه القليل من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- والكثير من تقريره.²

2-9- الأدلة على أن مصدر القراءات الوحي الرباني

- أ- الأدلة من القرآن الكريم:
- هناك العديد من الآيات القرآنية تدل دلالة واضحة على أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ليس له تبديل الكلمات أو الحروف القرآنية.
- قال تعالى:

¹ - عتر الحلبي، (1414 هـ)، ص148.

² - السندي، عبد القيوم (1415 هـ)، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمداية، ص163.

- ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّمَا يَنْتَظِرُونَ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلٌ مَّا يَكُونُ لِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ عَظِيمٌ، فُلٌ لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (يونس: 15-16)
 - وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ (الحاقة: 44-47)
 - وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (النجم: 3-5)
- وإذا كانت القراءات جزءًا من القرآن الكريم، فهي كذلك من عند الله عز وجل، ومنزلة وحيا منه تبارك وتعالى. وإذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يغير كلمة بكلمة أو حرفًا بحرف، فغيره من باب أولى.

2-10- سبب تعدد القراءات

الحديث عن أصل القراءات القرآنية يستدعي بحث قضيتين: الأولى تحديد مصدر القراءات، والثاني: تحديد السبب الذي أدى إلى ظهورها، ومناقشة هاتين القضيتين مرتبط بالظروف التي ظهرت فيها الدعوة الإسلامية، وطبيعة المجتمع العربي في تلك الحقبة، وما كان بين أجزائه من تباين لغوي ظاهر، لأن قراءة القرآن هي في جانب منها نشاط لغوي، ومن جانب آخر هي نشاط فكري ينعكس على سلوك الفرد والجماعة.

2-11- حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف

- تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لكل قبيل منهم لسان، ولا عهد لهم بحفظ الشرائع، فضلا عن أن يكون ذلك مما ألفوه، وهذه الحكمة نصت عليها الأحاديث في عبارات. منها: حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زُرِّ، عَنْ أَبِي، قَالَ: لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلَ عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَجَبْرِيلَ: "إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، فِيهِمُ الشَّيْخُ الْعَاسِي، وَالْعَجُوزَةُ الْكَبِيرَةُ، وَالْعَلَامُ" قَالَ: فَمَرُّهُمْ، فَلْيَقْرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ.¹

- تيسير قراءة القرآن على المسلمين جميعا في كل عصر: فالإسلام هو دين الله للبشرية كافة، ولم تكن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لجنس دون جنس، ولا لوطن دون وطن، بل كانت رسالته للإنسانية كلها على اختلاف الجنس والوطن واللغة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: 28)

- تمييز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السابقة: فللقراءات خصائص كثيرة، منها أنه انماز بخصيصة نزوله بسبعة ألسن من لغات العرب، كل منها هو وحى الله المنزل، وليس تفسيرًا ولا تأويلا، أما الكتب السماوية السابقة فنزل كل كتاب منها بلسان واحد، وإذا عدل عنه فإنه يكون من باب الترجمة والتفسير، وليس بالذى أنزل الله.

¹ - مسند أحمد، رقم الحديث 21204، ص 35، ص 132.

- إعجاز القرآن للفطرة اللغوية عند العرب: فتعدد مناحى التأليف الصوتى للقرآن تعددا يكافئ الفروع اللسانية التى عليها فطرة اللّغة فى العرب، حتى يستطيع كل عربى أن يوقع بأحرفه وكلماته على لحنه الفطرى ولهجة قومه مع بقاء الإعجاز الذى تحدى به الرسول صلّى الله عليه وسلم العرب، ومع اليأس من معارضته، لا يكون إعجازا للسان دون آخر، وإنما يكون إعجازا للفطرة اللغوية نفسها عند العرب، وإعجاز الفطرة اللغوية إعجاز لا يحده زمن، بل يمتد دائما مع اللّغة ما دامت هذه اللّغة قائمة.

- إعجاز القرآن فى معانيه وأحكامه: فإن تقلب الصور اللفظية فى بعض الأحرف والكلمات يعطى مزيدا من المعانى التى يدل عليها اللفظ، وبتهيئ معه استنباط الأحكام التى تجعل القرآن ملائما لكل عصر، يلبي حاجات البشرية ويقوم حياتها على نهج الله الأقوم، ولهذا احتج الفقهاء فى الاستنباط والاجتهاد فى معرفة الأحكام بقراءات الأحرف السبعة¹.

3-التطبيقات:

إنّ تعدد القراءات ليس من التحريف، وإنما هو توسعة من الله على الأمة، حيث أنزل القرآن على سبعة أحرف، ورخص لهم بالقراءة بها، وقد تأتى فيها زيادة معان، وهي كلها مروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بأسانيد متواترة، لرواة معلومين، يستحيل تواطؤهم على الكذب. وفى ما يلى إشارة إلى القراءات العشر وأثرها على المعنى فى الجزء الأول من القرآن الكريم.

1- يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9)

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال (يُخَادِعُونَ) وقرأ الباقون بفتح الياء وإسكان الخاء بلا ألف وفتح الدال (يَخْدَعُونَ)

حجة قراءة يُخَادِعُونَ: أنه مضارع "خَدَع" بناءً على أن المقالة من جانب واحد. "وَأَنَّ الْمفاعلة من جانب واحد من المنافقين كقول القاضي: عاقبتُ اللصَّ، والمعاقبة من القاضي وحده.² وايضاً "لأنَّ (فَعَلَ) أَحصَّ بالواحد من (فاعِل)؛ إذ أنّ فاعِل أكثر ماتكون من إثنين."³

-أهل اللغة حكوا (خادع و خدع) بمعنى واحد. والخداع إظهار خلاف ما فى النفس

حجة قراءة يُخَادِعُونَ: قرئت هكذا لمناسبة الكلمة الأولى فى الآية. فالوجه الأول لقراءته "أَنَّهُ من باب تناسب اللفظ"⁴ وهو قوله تعالى: يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا (بقره:9) وعلى هذا يجوز أن تكون المفاعلة من جانبين. "إذ المنافقون يخادعون أنفسهم بما يمينونها من أباطيل، وهي تمنهم كذلك. أو تكون المخادعة من جانب واحد، فتكون المفاعلة ليست

¹ - القطان، مناع (1411 هـ)، نزول القرآن على سبعة أحرف، القاهرة: مكتبة وهبة، ص101.

² - السندي، 1415 هـ، ص315.

³ - منصور، عبد القادر (1427 هـ)، الشامل فى القراءات العشر، حلب: دار القلم العربي، ص27.

⁴ - الشهري، عبد الرحمن(1431 هـ). الشاهد الشعري فى تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، الرياض: مكتبة دار المنهاج، ص207.

على باهما، وحينئذ تتحد هذه القراءة مع القراءة السابقة.¹ فيصبح الأسلوب أسلوب المشاكلة و المطابقة بين اللفظين. "قال مكى: وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي لأن الخداع فعل قد يقع وقد لا يقع والخدع فعل وقع بلاشك فإذا قرأت وَمَا يَخْدَعُونَ أَخْبِرْتَ عَنْ فَعَلٍ وَقَعَ بِلَاشِكٍ وَكَذَلِكَ هُوَ إِذَا قَرَأْتَ مَا يُخَادِعُونَ جَازٌ أَنْ يَكُونَ لَمْ تَقَعْ بِهِمُ الْمُخَادَعَةُ وَأَنْ تَكُونَ قَدِ وَقَعَتْ. فَ(يَخْدَعُونَ) أَمَكْنُ فِي الْمَعْنَى."²

2- فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10)

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بالتخفيف (يَكْذِبُونَ) وقرأ الباقون بالتشديد (يُكْذِبُونَ) "فمن قرأ: (يَكْذِبُونَ) فمعناه: بكذبهم. وَمَنْ قَرَأَ: (يَكْذِبُونَ) فمعناه: بتكذيبهم الأنبياء."³ "فمن قرأ بالتشديد: ف" حجتهم مَا رُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ إِنَّمَا عَوْتِبُوا عَلَى التَّكْذِيبِ لَا عَلَى الْكُذْبِ وَفِي التَّنْزِيلِ مَا يَدُلُّ عَلَى التَّثْقِيلِ ﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ وَحِجَّةٌ أُخْرَى أَنْ وَصَفَهُمُ بِالْكَذِبِ أَبْلَغُ فِي الدَّمِّ مِنْ وَصَفَهُمُ بِالْكَذْبِ لِأَنَّ كُلَّ مَكْذِبٍ كَاذِبٌ وَلَيْسَ كُلُّ كَاذِبٍ مُكْذِبًا.

وَحِجَّةُ التَّخْفِيفِ: أَنَّ ذَلِكَ أَشْبَهَ مَا قَبْلَ الْكَلِمَةِ وَمَا بَعْدَهَا فَالَّذِي قَبْلَهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْكُذْبِ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وَقَالَ اللَّهُ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ وَمَا بَعْدَهَا قَوْلُهُ ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فَقَوْلُهُ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ دَلَالَةٌ عَلَى كَذِبِهِمْ فِيمَا ادَّعَوْهُ مِنْ إِيمَانِهِمْ وَإِذَا كَانَ أَشْبَهَ بِمَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ فَهُوَ أَوْلَى.⁴

فالقراءتان لا ينفى بعضهما بعضاً " لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ جَمِيعًا هُمُ الْمُنَافِقُونَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي إِخْبَارِهِمْ وَيَكْذِبُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى فَالْأَمْرَانِ جَمِيعًا مَجْتَمِعَانِ لَهُمْ فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ عَنْهُمْ وَأَعْلَمَنَا أَنَّهُ مَعَذِبُهُمْ بِهِمَا."⁵

3- فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا... (36)

قرأ حمزة وحده: (فَأَزَلَّهُمَا) بألف مع التخفيف، وسائر القراء قرأوا: (فَأَزَلَّهُمَا) بالتشديد بغير ألف. حجة قراءة (فَأَزَلَّهُمَا): "فَأَزَلَّهُمَا مِنَ الزَّلِيلِ بِمَعْنَى اسْتَزَلَّهُمَا تَقُولُ: زَلَّ فُلَانٌ وَأَزَلَّتْهُ. وَمَنْ قَرَأَ: "فَأَزَلَّهُمَا" أَرَادَ نَحَاهُمَا."⁶ "أَيُّ" أَوْقَعَهُمَا فِي الزَّلِيلِ وَهُوَ أَنْ يَزِلَّ الْإِنْسَانُ عَنِ الصَّوَابِ إِلَى الْخَطَأِ وَالزَّلَّةُ وَحِجَّتُهُمْ قَوْلُهُ إِذْ اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ وَنَسَبَ الْفِعْلَ إِلَى الشَّيْطَانِ لِأَنَّهَا زَلَا بِإِغْوَاءِ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُمَا فَصَارَ كَأَنَّهُ أَزَلَّهُمَا."⁷

¹ - محيسن، 1417 هـ، ص 19.

² - منصور، 1427 هـ، ص 27.

³ - الأزهرى، محمد (1412 هـ)، معاني القراءات للأزهري، جامعة الملك سعود: مركز البحوث، ص 134.

⁴ - ابن زحيلة، عبد الرحمن (د.ت)، حجة القراءات، دار الرسالة، ص 89.

⁵ - الداني، عثمان (1428 هـ)، جامع البيان في القراءات السبع، الإمارات: جامعة الشارقة، ص 49.

⁶ - ابن قتيبة (1398 هـ)، غريب القرآن، دار الكتب العلمية، ص 46.

⁷ - ابن زحيلة، (د.ت)، ص 94.

حجة قراءة (فَأَزَالَهُمَا): أي نأهما عَن الْحَالِ الَّتِي كَانَا عَلَيْهَا. و "حجته قَوْلُهُ ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي اثبتا فثبتا فأزالهما الشَّيْطَانُ فقابل الثَّبَاتَ بِالزُّوَالِ الَّذِي هُوَ خِلَافُهُ وَمِمَّا يُقْوِي قِرَاءَتَهُ قَوْلُهُ ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فَأَخْرَجَهُمَا فِي الْمَعْنَى قَرِيبٍ مِنْ إِزَالَتِهِمَا".¹

4- فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ... (37)

قرأ ابن كثير بنصب (آدم) ورفع (كلمات) وقرأ الباقون برفع (آدم) ونصب (كلمات). حجة قراءة ابن كثير: أنه أسند الفعل الى «كلمات» تلقت آدم عليه السَّلام. ويقال: "ما تلقاك فقد تلقيته وما نالك فقد نلته. وهذا يسميه النحويون: المشاركة في الفعل".²

حجة قراءة الباقين آدم- كلمات: أنه قد أسند الفعل الى آدم وإيقاعه على الكلمات. "فهو الذي تلقى الكلمات لأنه قبلها ودعا بها وعمل بمضمونها فتاب الله عليه".³

5- ... فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)

قرأ يعقوب وحده (فلا خوف) بفتح الفاء وحذف التنوين، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين (فلا خوف). حجة قراءة الرفع والتنوين: ترفع خوف لحجتين؛

(أ) أن يكون الفاء رابطة بجواب الشرط وهو (من) و(لا) نافية. وخوف مبتدأ وعليهم خبر وساخ الابتداء بـ(خوف) وهو نكرة لتقدم النفي عليه.

(ب) أن تعمل (لا) عمل ليس فيكون (خوف) اسمها و(عليهم) خبرها.

حجة قراءة النصب: أن (لا) نافية للجنس تعمل عمل (إن) و(خوف) اسم لا مبني معها على الفتح وعليهم خبرها. "وتسمى ب (لا التبرئة) أيضاً لأنها تنفي الخبر عن جميع افراد جنس المبتدأ"⁴ فمعنى الآية على هذا: أنها تنفي صفة الخوف عن جميع افراد الذين اتبعوا الهدى.

"الرَّفْعُ وَالتَّنْوِينُ هُنَا أَوْجَهُ مِنَ الْبِنَاءِ عَلَى الْفَتْحِ لِوَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَطَفَ عَلَيْهِ مَا لَا يَجُوزُ فِيهِ إِلَّا الرَّفْعُ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَلَا هُمْ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ وَلَا لَا تَعْمَلُ فِي الْمَعَارِفِ، فَالْأَوْلَى أَنْ يُجْعَلَ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ؛ لَيْتَشَاكَلَ الْجُمْلَتَانِ كَمَا قَالُوا فِي الْفِعْلِ الْمَشْعُورِ بِضَمِيرِ الْفَاعِلِ، نَحْوُ: قَامَ زَيْدٌ وَعَمَرًا كَلَّمْتُهُ؛ فَإِنَّ النَّصْبَ فِي عَمْرٍو أَوْلَى لِيَكُونَ مَنْصُوبًا بِفِعْلِ، كَمَا أَنَّ الْمَعْطُوفَ عَلَيْهِ عَمِلَ فِيهِ الْفِعْلُ."

¹ - المصدر نفسه.

² - ابن خالويه، الحسين (1401 هـ)، الحجة في القراءات السبع، بيروت: دار الشروق، ص75.

³ - منصور، 1427 هـ، ص35.

⁴ - منصور، (1427 هـ)، ص36.

وَأَلْوَجْهُ الثَّانِي: مِنْ جَهَةِ الْمَعْنَى ; وَذَلِكَ بِأَنَّ الْبِنَاءَ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْخَوْفِ عَنْهُمْ بِالْكَلْبِيَّةِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ ذَلِكَ بَلِ الْمُرَادُ نَفْيُهُ عَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ.¹

6- وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً..... (51)

قال أبو جعفر، أبو عمرو ويعقوب: (وَإِذْ وَاعَدْنَا) وقرأ سائر القراء: (وَوَاعَدْنَاكُمْ) بألف. حجة قراءة (وَاعَدْنَا): "أَنَّ الْوَعْدَ مِنْ اللَّهِ قَدْ وَعَدَهُ لِمُوسَى فَهُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدُ وَقَدْ جَاءَ نِظَائِرُ قَرَأْتِيَّةٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ: ﴿وَعَدْنَاكُمْ﴾ (ابراهيم: 22) و﴿وَإِذْ يَعِدُكُمْ﴾ (الانفال: 7) و﴿النَّارُ وَعَدَهَا﴾ (الحج: 72). بينما المواعدة على وزن المفاعلة أكثر ما تكون من اثنين بين البشر متكافئين كل واحد يعد صاحبه. وهنا قد جاء الوعد من الله لموسى وليس فيه إشارة إلى أي وعد من موسى إلى الله.²

حجة قراءة (وَاعَدْنَا) اثنتان: الأولى: أنه "قد تأتي المفاعلة من واحد في كلام العرب فقد قالوا طارقت النعل و داويت العليل. والفعل واقع من واحد. فيمكن حمل قراءة واعدنا على هذا السياق. والحجة الثانية تقول: وإذا حملنا المواعدة على أصلها فيكون المعنى فيها أن المواعدة كانت بين (الله و موسى) فمن الله كان الوعد لموسى أن يلقاه على الطور ليكلّمه و يناجيه ومن موسى كان الوعد أن يسير لما أمره الله به قابلاً للوعد و التحري لإنجازه.³

وعلى هذا الأساس فإنّ القراءتين متطابقتان في تقرير المعنى. لأنّ موسى مضطرّ لوعد أو قبول. يقوم مقام الوعد فصحت المفاعلة على الوجهين جميعاً.

7- وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ..... (81)

قرأ نافع وأبو جعفر (خَطِيئَاتُهُ) وقرأ سائر القراء: (خَطِيئَتُهُ)

الحجة لمن أفراد الكلمة اثنتان: "أَنَّ الْخَطِيئَةَ هَاهُنَا يَعْنِي بِهَا: الشَّرْكَ. وَالْأُخْرَى: أَنَّهُ عَطَفَ لَفْظَ «الْخَطِيئَةَ» عَلَى لَفْظِ «السَّيِّئَةَ» قَبْلَهَا، لِأَنَّ الْخَطِيئَةَ سَيِّئَةٌ، وَالسَّيِّئَةَ خَطِيئَةٌ."⁴

والحجة لمن جمع: أَنَّ الْإِحَاطَةَ لَا تَكُونُ لِلشَّيْءِ الْمُنْفَرِدِ إِثْمًا تَكُونُ لِأَشْيَاءِ كَقَوْلِكَ أَحَاطَ بِهِ الرَّجَالُ وَأَحَاطَ النَّاسُ بِفُلَانٍ إِذَا دَارُوا بِهِ وَلَا يُقَالُ أَحَاطَ زَيْدٌ بِعَمْرٍو وَحِجَّةٌ أُخْرَى جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ قَوْلُهُ بَلَى مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ أَيِ الْكَبَائِرِ أَيِ أَحَاطَتْ بِهِ كَبَائِرُ ذَنْبِهِ."⁵ فقد جاء اللفظ مطابقاً للمعنى.

¹ - العكبري، عبد الله (د.ت)، التبيان في إعراب القرآن، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج1، ص55.

² - منصور، (1427 هـ)، ص38.

³ - المصدر نفسه، ص38.

⁴ - ابن خالويه، (1401 هـ)، ص83.

⁵ - ابن زنجلة، (د.ت)، ص102.

8- وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا.... (83)

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين، وقرأ الباقون: (حُسْنًا).

الحجة لمن ضمَّ أنه أراد المصدر. و"كان في الأصل (قولاً حسناً) إمّا على حذف المضاف، أي: ذاحسن وإمّا على الوصف بالمصدر لإفراط حسنه. وحجة أخرى أنّ الحسن يجمع والحسن يتبعض. أي: قولوا للناس الحسن في الأشياء كلها. فما يجمع أولى مما يتبعض. والمراد «قولوا لهم القول الطيب وجاوبوهم بأحسن ما يحبون».¹

والحجة لمن فتح أنه "أراد «قولاً حسناً» فأقام الصفة مقام الموصوف." ² ذكر في التفسير "التصارييف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه" أنّ للحسن خمسة وجوه تفسيرية في القرآن الكريم ورأى الوجه الأول منها أنّ الحسن يعنى الحق. وقال: "وذلك قوله في سورة البقرة: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ يعين حقا في أمر محمّد أنه رسول ونبي. وكقوله في طه ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ (طه: 20) يعني حقا.³

9- وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تَفَادُوهُمْ.... (85)

قرأ نافع وعاصم والكسائي وأبوجعفر ويعقوب (تَفَادُوهُمْ) وقرأ الباقون: (تَفْدُوهُمْ)

حجة قراءة (تَفَادُوهُمْ): تفادوهم تحتمل أحد المعنيين: إمّا أن تكون المفاعلة على بابها إذ الأصل فيها أن تكون بين الفريقين. فعلى هذا الباب يكون المعنى: "أن يعطى الأسير المال ويطيئه الأسر الإطلاق".⁴ وإمّا أن تكون على غير بابها بمعنى فَعَلَ الجرد. كقول العباس: فاديت نفسي وفاديت عقيلاً. فهي إذاً من جانب واحد.

حجة قراءة (تَفْدُوهُمْ): فهي من فدى الجرد فعليها يكون المعنى: "تعطوا فديتهم أو تشتروهم من العدو".⁵

ويمكن التمايز بين القراءتين بأشياء أخرى:

1- "قال أبو عمرو الأسرى من في اليد والأسارى من في الوثاق".⁶

2- قال الألوسي في تفسيره بعض الفروق بينهما:

أ) "إنّ معنى فادى بادل أسيراً بأسير ومعنى فدى جمع الفداء.

ب) تفادوهم بالعنف وتفدوهم بالصلح.

¹ - منصور، (1427هـ)، ص 46.

² - ابن خالويه، (1401هـ)، ص 84.

³ - القيرواني، يحيى (1979 م). التصارييف لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه. - الشركة التونسية للتوزيع، ص 145.

⁴ - منصور، (1427هـ)، ص 48.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - المصدر نفسه.

ج) تُفَادُوهُمْ تَطَلَبُوا الْفَدْيَةَ مِنَ الْأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ أَعْدَائِكُمْ".¹

10- مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ... (106)

قرأ ابن عامر (نُنْسَخُ) بضم النون وكسر السين، وقرأ الباقون (نَنْسَخُ)

حجة قراءة نُنْسَخُ: "أَنَّهَا جَاءَتْ عَلَى الْمَعْنَى الظاهر في اللفظ وهو: مانرغ من حكم آية ونبق تلاوتها نأت بأصلح منها لكم أو مثلها... وهذا الحرف مأخوذ من نسخ إذا غيّر الحكم وبدل. وروي عن ابن عباس (مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ) أي: (ما تبدل من حكم آية بحكم آخر).

حجة قراءة نُنْسَخُ: أَنَّهَا من أنسخ التي هي للموجود. أو للوجدان تقول: أنسخت الكتاب على معنى وجدته منسوخاً. والمعنى ما نجده منسوخاً. وليست الهمزة هنا للتعدي لأنّ المعنى عليه يتغيّر فيصير مانسحك يا محمد من آية. وإنساحه إياها: إنزالها عليه. فيصير المعنى مانزل عليه من آية أو ننسها نأت بغير منها ويؤول المعنى إلى أنّ كل آية نزلت منسوخة وهذا محال إلا اليسير منه. لذا امتنع حمل معناها على التعدي لفساد المعنى.²

11- مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ... (106)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (نَنْسَأُهَا) بالهمز وفتح النون الأولى، وقرأ الباقون (نُنْسِهَا)

حجة قراءة نَنْسَأُهَا: "أَنَّهَا من (النساء) وهو التأخير أي: نُؤخر حكمها ويكون المعنى: مانرغ من آية فنبدل حكمها أو نُؤخره (تبديل الحكم) نأت بغير منها."³ ومنه الحديث: "من أحبّ أن يسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه"⁴.

حجة قراءة نُنْسِهَا: فإنه من النسيان. "وهو أنّ الله عزّوجلّ إذا شاء أنسى النبي صلى الله عليه وسلّم شيئاً من القرآن وهو مايدلّ عليه صريح قول الله عزّوجلّ: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ..﴾ (الأعلى: 6 و 7).⁵ وقيل أنّه يمكن أن يكون بمعنى "النسيان والترك و أنّ الله أنسى سيدنا محمداً إياها أو أنّ الله تركها فلايبدلها. وعليه فتأويل الآية: نرفعها بآية أو نأمرك بتركها."⁶

12- ... كُنْ فَيَكُونُ (117)

قرأ ابن عامر (فَيَكُونُ) بالنصب، وقرأ الباقون برفع النون (فَيَكُونُ)

¹ - الألوسى، شهاب الدين (1415 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت: دار الكتب العلمية، ص312.

² - منصور، (1427هـ)، ص52.

³ - المصدر نفسه، ص53.

⁴ - صحيح مسلم، رقم الحديث: 2557.

⁵ - حبش، محمد (1419 هـ)، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دمشق: دار الفكر، ص162.

⁶ - منصور، (1427هـ)، ص53.

حجة قراءة النصب: أنه على جواب (كن). لأنه جاء بلفظ الأمر. وكأنه ذهب إلى أنه الأمر الحقيقي وليس كذلك. "لأنّ ذلك يكون على فعلين: شرط وجزاء. مثل: ...أكرمك والمعنى: إن تأتني أكرمك ومثل هذا لا ينتظم هنا. ونصب المضارع هذا على إضمار (أن) بعد الفاء قياساً على جوابه."¹

حجة قراءة الرفع: فرعه من جهتين؛

أولاً: أنه على جعل الكلام منقطعاً عما قبله فجعله استثناءً (فهو يكون) والثاني: على جعله عاطفاً على (يقول). كما جاء في حجة القراءات " إن شئت على العطف على يقول وإن شئت على الاستئناف المعنى فهو يكون"²

13- ... وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (119)

قرأ نافع ويعقوب: (وَلَا تُسْأَلُ) بفتح التاء وجزم اللام على النهي، وقرأ الباقون: (وَلَا تُسْأَلُ) بضم التاء واللام. حجة قراءة وَلَا تُسْأَلُ: فله معنيان:

أحدهما: أنها نهي حقيقي و "أن الله أمره بترك المسألة عنهم."³

والثاني: "أن لا يكون نهيًا حقيقياً بل جاء ذلك على سبيل تعظيم ما وقع فيه اهل الكفر من العذاب."⁴ كما تقول كيف حال فلان؟ هل وقع في مكروه؟ ويقول لك القائل: لا تسأل عنه. لا يقدر القائل على إجرائه على لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمعه.

حجة قراءة وَلَا تُسْأَلُ: أنّ رفعه من وجهين:

الأول: أنه رفع على الخبر المنفي المستأنف "كأنه قيل ولست تُسأل عن أصحاب الجحيم"⁵ ويقويه قوله تعالى ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ (الرعد: 40)

الثاني: أنه على الحال محلاً فيكون المعنى: "وأرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم" (ن.م)

وثمره الخلاف: "إن إحدى القراءتين أفادت نهيًا عن السؤال عن المشركين، ومقتضى النهي هنا ترك التأسف عليهم بعد أن حقت عليهم كلمة الله، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كثير التأسف على إعراض المشركين. حتى قال له الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف: 6)

¹ - منصور، (1427هـ)، ص 57.

² - ابن زنجلة، (د.ت)، ص 111.

³ - الأزهرى، (1412 هـ)، ج 1، ص 171.

⁴ - منصور، (1427هـ)، ص 56.

⁵ - المصدر نفسه.

وأفادت القراءة الثانية معنى آخر وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل عن أصحاب الجحيم يوم القيامة، ولا يحاسب عنهم بعد أن بلغهم رسالة الله، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، وأن الناس مجزيون بما قدموا، وما على الرسول إلا البلاغ المبين. وكما ترى فليس بين القراءات تنافر وتضاد، بل كل قراءة أفادت معنى جديدا، وتعدّد القراءات ينزل منزلة تعدّد الآيات.¹

14- ... وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ ... (125)

قرأ نافع وابن عامر (اتَّخِذُوا) بصيغة الماضي وقرأ الباقر بصيغة الأمر (اتَّخِذُوا). حجة قراءة اتَّخِذُوا: "على أنه فعل ماض أريد به الإخبار، وهو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ مع إضمار «إذ». والمعنى: واتخذ الناس من المكان الذي وقف عليه نبي الله إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة «مصلين» أي يصلون عنده بعد الطواف بالبيت الحرام.

حجة قراءة اتَّخِذُوا: على أنه فعل أمر، والمأمور بذلك قيل: سيدنا «إبراهيم» وذريته، وقيل: نبينا «محمد» صلى الله عليه وسلم.²

وثمره الخلاف: "إن مقام إبراهيم عليه السلام لم يزل مصلين، فقد اتَّخِذَهُ بنو إبراهيم بعد أبيهم، وقد أمر الله عز وجل النبي صلى الله عليه وسلم وأُمَّته بإقرار ذلك وجعله مصلين، وهذا المعنى بجملة لا يفهم من إحدى القراءتين دون الأخرى، ولا بدّ من إعمالهما معا ليتضح ذلك."³

15- وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ... (132)

قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (وأوصى) بالألف، وقرأ الباقر (ووصى) بالتشديد. حجة قراءة أوصى: "أن أوصى يكون للقليل والكثير ووصى لا يكون إلا للكثير."⁴

قال الكسائي هما لغتان معروفتان يقال وصيتك وأوصيتك كما يقال كرمتك وأكرمتك. والتنزيل جاء باللغتين جميعاً. قال الله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (النساء: 131) و﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ (الشورى: 13) و﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ (الانعام: 151) و﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ (النساء: 11) و﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةِ تُوْصُونَ بِهَا﴾ (النساء: 12).

¹ - حبش، محمد (1419 هـ)، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، دمشق: دار الفكر، ص 168.

² - محيسن، (1417 هـ)، ج 2، ص 55.

³ - حبش، (1419 هـ)، ص 263.

⁴ - ابن زنجلة، (د.ت)، ص 115.

4-الخاتمة

القرآن كتاب الله المعجز، وإعجازه من جوانب عديدة، ومن أهمها تعدد القراءات؛ لأن مصدرها التلقي والسماع من الرسول عليه الصلاة والسلام. ومن المعلوم أن تعدد القراءات والاختلاف فيها يؤدي إلى تعدد المعاني والاختلاف في الأحكام. ، وبالتالي يناقض حقيقة ثابتة، وهي أن لا تناقض في الشريعة الإسلامية، فلا ينبغي أن يكون التناقض في كتاب الله في المعاني والأحكام.

وتوصلت هذه الدراسة إلى أن هذه القراءات المتعددة ليست متناقضة، بل هي متكاملة بعضها مع بعض.

- وقد يوجد معنى في قراءة دون قراءة: وقد يوجد هذا في آية (37) فإن الاختلاف في إعراب كلمتي (آدم، كلمات) قدغيّر المعنى في إسناد الفعل إلى (كلمات) أو إسناده إلى (آدم). ونحو آية (106) فإن اختلاف القراءة أدّى إلى اختلاف التعبير عن الكلمة الواحدة (نفسها) بمعنيين مختلفين هما (النسيان والتأخير).
 - وقد تزيل الإشكال من معانيها: نحو آية (85) ففيها يقرأ فعل (تفادوهم) بشكل ثانوي وهو (تفدوهم) ولكن ذكر في التفاسير الفروق الدلالية بينها.
 - وقد تكون القراءات مخصصة لعموم الآية أو مقيدة: مثل آية (83) فقراءة الحسن بشكلين مختلفين قد يفيد في إحداها معنى البعض من الحسن ويفيد في الثانية معنى الكل.
- إنّ الاختلاف والتنوع في القراءات يقوم مقام تعدد الآيات. وهو ضرب من ضروب الإعجاز، انفرد به هذا الكتاب. ومعنى هذا أنّ نزول القرآن باختلاف قراءاته لايلزم منه تناقض ولا تضاد ولا تدافع بين مدلولات معانيه يسبب اضطراباً واختلافاً بين آيات القرآن بل كلّ قراءة منها مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن الجزري، محمد (د.ت). النشر في القراءات العشر. المطبعة التجارية الكبرى.
- ابن الجزري، شمس الدين (1420هـ). منجد المقرئين ومرشد الطالبين. دار الكتب العلمية.
- ابن خالويه، الحسين (1401 هـ). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.
- ابن زنجلة، عبد الرحمن (د.ت). حجة القراءات. دار الرسالة.
- ابن قتيبة (1398 هـ). غريب القرآن. دار الكتب العلمية.
- الأزهري، محمد (1412 هـ). معاني القراءات للأزهري. جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب.
- الألوسي، شهاب الدين (1415 هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية
- البخاري الجعفي، محمد (1422هـ). صحيح البخاري. دار طوق النجاة.
- الحموي العلي، عدنان بن عبد الرزاق (1429ق.). "أثر اختلاف القراءات في التفسير". مجلة الشريعة والقانون، العدد الخامس والثلاثين.
- حبش، محمد (1419 هـ). القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية. دمشق: دار الفكر.
- الداني، عثمان (1428 هـ). جامع البيان في القراءات السبع. الإمارات: جامعة الشارقة.
- الزركشي، بدر الدين (1376 هـ). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة.
- السندي، عبد القيوم (1415 هـ). صفحات في علوم القراءات. المكتبة الأمدادية.
- السيوطي، جلال الدين (1394هـ). الإتيقان في علوم القرآن. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- شندوخ حميد، هادي (2010). "صيغة (انفعل) في التعبير القرآني دراسة في المبنى والمعنى". مجلة آداب ذى قار، العدد 1.
- الشهري، عبد الرحمن (1431 هـ). الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به. الرياض: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع.

- الشيباني، أحمد (1421 هـ). مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- عتر الحلبي، نور الدين (1414 هـ). علوم القرآن الكريم. دمشق: مطبعة الصباح.
- عثماني، نور محمد والرحمن، محمد حبيب (2011م). "القراءات السبع وأثرها في تفسير كلام الله والعقائد وأحكام الشرع". مجلة الإسلام في آسيا، العدد الخاص الثالث.
- العسكري، أبو هلال (د.ت). الفروق اللغوية. القاهرة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
- العكبري، عبد الله (د.ت). التبيان في إعراب القرآن. - : عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- الفيروزآبادي، مجد الدين (1426 هـ). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- القاضي، عبد الفتاح (د.ت). البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب. بيروت: دار الكتاب العربي.
- القشيري النيسابوري، مسلم (د.ت). صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- القضاة، محمد وشكري، أحمد ومنصور، محمد (1422 هـ). مقدمات في علم القراءات. عمان: دار عمار.
- القطان، مناع (1411 هـ). نزول القرآن على سبعة أحرف. القاهرة: مكتبة وهبة.
- القيرواني، يحيى (1979 م). التصاريح لتفسير القرآن مما اشتهت أسمائه وتصرفت معانيه. - : الشركة التونسية للتوزيع.
- القيسي القيرواني، مكي (1405 هـ). مشكل إعراب القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- محيسن، محمد (1417 هـ). الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر. بيروت: دار الجيل.
- المحميد، ياسين جاسم (1426 هـ). تلحين النحويين للقراء. رياض: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.
- المرادي النحوي، أحمد بن محمد (1421 هـ). إعراب القرآن. بيروت: دار الكتب العلمية.
- منصور، عبد القادر (1427 هـ). الشامل في القراءات العشر. حلب: دار القلم العربي.
- المنصوري، عبد الله عثمان علي (2015 م). "أثر القراءات المتواترة على المعنى في سورة طه". مجلة القلم (علمية- محكمة)، العدد الثالث.
- المهدوي، أحمد بن عمار (1415). شرح الهداية. مكتبة الرشد.